

التبيان في تفسير القرآن

(116) فأعلاه منزلة ما يستحق بالنبوة، وادناه ما يستحق لخصلة من الطاعة أدناها كإمالة
الاذى من الطريق وغيره. وقوله " عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا "، بين أنه إنما يأمرها
باكرامه لما يرجو من الانتفاع به فيما بعد أو للتبني به. وقال ابن مسعود: احسن الناس
فراصة ثلاثة: العزيز حين قال لامرأته " اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا " وابنة شعيب حين قالت
في موسى " يا أبت استأجره " (1) وأبوبكر حين ولى عمر. وقوله " وكذلك مكنا ليوسف في الارض
" ووجه التشبيه فيه انه تعالى شبه التمكين له في الارض بالتوفيق للأسباب التي صار بها
إلى ما صار بالنجاة من الهلاك والخراج إلى أجل حال. وقوله " ولنعلمه من تأويل الاحاديث "
اللام فيه محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه في الارض، ولنعلمه من تأويل الاحاديث. وقوله
" وإنا غالب على امره " معناه أنه قادر عليه من غير نافع حتى يقع ما أراد، ومنه وقوع
المقهور بالغلبة في الذلة. وقيل غالب على امريوسف يدبره ويحوطه. وقوله " ولكن اكثر
الناس لا يعلمون " اخبار منه تعالى ان اكثر الخلق غير عالمين بحسن تدبير الله لخلقه،
وما يجريه اليهم من مصالحهم وانه قادر لا يغالب، بل هم جاهلون بتوحيده، ولا يدل ذلك على ان
من فعل ماكرهه الله يكون قد غالب الله، لان المراد بذلك ما قلناه من انه غالب على ما يريد
فعله بعباده. فاما ما يريده على وجه الاختيار منهم فلا يدل على ذلك، ولذلك لا يقال ان
اليهودي المقعد قد غلب الخليفة حيث لم يفعل ما اراده الخليفة من الايمان، وفعل ماكرهه
من اليهودية وهذا واضح. _____ (1) سورة القصص آية 26.